

"نظرية التأويل التقابلي" من التأصيل إلى التجريب

أ/ سليمة جلال
جامعة قسنطينة

مقدمة:

في الوقت الذي شهد التأويل في الفكر الغربي منعطفات كثيرة شكلت مسارات متجددة تشق طريقها إلى مدافن المعاني في النص، فيُنْفَخُ فيها الروح لتحيا من جديد و تبوح بالأسرار . نجد أن التأويل في الفكر العربي ظل يتخبط بين استيراد النظريات الغربية الجاهزة و محاولة تكييفها مع طبيعة النص العربي ، و الدعوة إلى إيجاد نظريات عربية أصيلة تنبثق من عمق التراث كامتداد طبيعي يتواصل مع نتاج القدامى فيستثمره لقراءة النصوص كبديل - ينسجم بجهازه المفاهيمي مع خصوصيتها - عن كل مستورد هجين.

و في ظل انتظار المشاريع الجادة و الأصيلة ، يأتي مشروع محمد بازّي من بين المشاريع التي تسعى إلى تأسيس تأويلية عربية تمتد بجذورها إلى عمق التراث و تشمخ بأغصانها إلى آفاق واعدة بكشف دفائن النص. وهذا من خلال نظريته " التأويل التقابلي " التي كانت محطة البداية فيها بالتأويلية العربية كنموذج تساندي تتكامل فيه الدوائر الصغرى (النصية) مع الدوائر الكبرى (السياقية)، و كان التأويل التقابلي حينها محطة من محطاتها ليطبق الباحث بنفسه التأويل التقابلي على نصوص مختلفة ، وبعد هذا المخاض نشهد مولد النظرية .

وعليه تتمحور إشكالية البحث حول التساؤل عن الجديد الذي أثرى به الباحث محمد بازّي هذا المبحث البلاغي القديم (التقابل) حتى تسنى له أن يبلور منه نظرية متكاملة ؟ ثم مدى فاعلية هذه النظرية في قراءة النصوص على اختلافها بمستوى الكشف عن الجديد المرتقب ؟ و للإجابة عن هذه التساؤلات، فإننا بحاجة لتتبع مسار تكوين النظرية، الذي يمكننا تقسيمه إلى مرحلتين :

المرحلة الأولى سعى فيها الباحث محمد بازّي إلى تأسيس التأويلية العربية في نموذج تساندي لفهم النصوص و الخطابات انطلاقا من منهج المفسرين وشرّاح الشعر، ظهر فيها التأويل التقابلي كآلية في هذا النموذج إلى جانب تساند الدوائر النصية مع الدوائر السياقية .

أما المرحلة الثانية: فتعتبر مرحلة تعديل النموذج و نضج التصور لاكمال " نظرية التأويل التقابلي " التي أصبح التقابل فيها فضلا عن كونه نظرية فهو نموذج ومنهج وإستراتيجية ومرجعية بنائية و تفسيرية لكل ما سبق.

1 - 1 - النموذج التساندي للتأويلية العربية :

كانت انطلاقة الباحث مع كتابه التأويلية العربية ، حيث طمح إلى بلورة نظرية تأويلية بالاعتماد على الكتابات التراثية في مقدمتها التفاسير و الشروح لاعتقاده أنها خير نموذج تستنبط منه آليات التأويل القادرة على فهم النص وقد استوت شروط القراءة التي تنادي بها الدراسات الحديثة في هذا النموذج. فهو يرى " أن الثقافة التأويلية العربية القديمة تسندها ثوابت عامة هي بمثابة آليات إلزامية نابعة من النسق الثقافي و المعرفي العام و من متغيرات تلحظ في تمييز هذا المؤول عن ذاك ، على مستوى المذهبية أو الموهبة التأويلية أو اتساع محدودية ذخيرته أو موسوعية . و هي في جميع الحالات غير مصرح بها في مقدمات التفاسير أو الشروح كاستراتيجيات منتظمة بهذا الشكل الذي حددته و إنما يكشف دارس الخطابات التأويلية عن مجالاتها و الإطارات التي تلمُّها ، و يجد في الخطاب التفسيري ما يستدل بشكل كاف على ذلك "⁽¹⁾. فمالم يقم به أصحاب التفاسير و الشروح من تنظيم قواعد الفهم لديهم في شكل نظري يحتذي به هو في حقيقته موجود كإستراتيجية ؛ قدرة على أن تصوغ قواعد بلاغة تأويلية - خاصة بالنص الديني - أمتن و أوسع و أعرق بكثير مما توصلت إليه تأويلية النص الأدبي العربية⁽²⁾. هذا تصور الباحث الذي دفعه إلى تأسيس نظرية تأويلية عربية استنادا إلى الدراسات التفسيرية ، لكن عملية التأسيس اعتمدت على خلفية نظرية منبثقة عن النظريات التأويلية الغربية لاعتقاده أن كل أفكار النظريات التأويلية قد تواجدت بشكل ما في الكتابات التراثية . وعليه فهو يؤكد " بأن ما في تراثنا من دقة و احتياطات و خصوبة و تنوع يغني عن التعرف على ما عند الغربيين ، لكن مع ذلك نستأنس باقتراحاتهم بما يقوي طرحنا و يبرر سبيلنا "⁽³⁾ غير أن هذا الاستئناس يصبح منهجا عند الباحث يسعى على ضوئه إلى إثبات أهمية التراث ومنجزاته ، وكأن التراث العربي لا يفهم إلا في ظل النظريات الغربية ، أو أن التأصيل العربي لأية نظرية يفتقر إلى مبررات وجوده بمنطقه الخاص الذي يعلل فهمه و تصوره المميز للحياة و النص . فالباحث يرى أن الطرح الذي يتقدم به موجود من حيث هو نسق ضمني خفي في كل اشتغال بالمعنى لأنه اشتغال كوني يعمل بشكل تلقائي و لكنه غير منتظم في إطار نموذج قرائي متلاحم

الحلقات ، لذا فهو يسعى لأن يعيد له الحياة في قلب الممارسة التأويلية.⁽⁴⁾ و ذلك من خلال منهج المفسرين حيث اختار نموذجين أحدهما يمثل التفسير بالنقل و هو تفسير ابن كثير و الآخر التفسير بالرأي وهو تفسير الكشاف للزمخشري ، فيقارن بينهما فيما تعلق بتفسيرهما لسورة الفاتحة أفضت النتيجة إلى أن كليهما سار على النهج نفسه وإن اختلفا في كيفية الفهم⁽⁵⁾ إضافة إلى منهج الشراح الذي اختار نموذجيه لأبي البقاء العبركي في كتابه "التبيان في شرح الديوان"⁽⁶⁾. فكانت خلاصة دراسته أن المنهج عند المفسرين قائم على "حركة تساندية دائبة داخل الخطاب التأويلي ، فاللغة تعمل في تعاون مع النحو و البلاغة ، و يعمل الاشتقاق إلى جانب اللغة و النحو و البلاغة. و تحضر القراءات لتسند تخريجا دلاليا . و في أحيان أخرى تطعم أسباب النزول و الأخبار المعنى . و تلعب الإسرائيليات دور التوسيع لما هو مختزل . و في كثير من الأحيان تعبر إلى الخطاب التفسير مادة غزيرة من الأمثال و غيرها"⁽⁷⁾. يشتغل التأويل في هذه الحركة التساندية على " انفتاح الحدود بين الدوائر النصية والدوائر السياقية. و يتم العبور وفق معايير الملاءمة و الانسجام بين العناصر التي يتم التركيب بينها عبر منطق التبرير ، لا شيء يتم جزافا أو خارج المواضع هناك دوما سلطة مرجعية يجب الاحتكام إليها في حالة عدم التراضي بين المؤول و قرائه. و نجد في التراث العربي قراءات تأويلية منتظمة في أدواتها تبعا لانتظام العمليات الذهنية ، و شبكات قرائية متينة مبنية على منطق تساند الآليات ، و تعاون المستويات البنائية بنظيرتها الخارجية"⁽⁸⁾. غير أن السلطة التي يتحدث عنها الباحث وهي المرجعية التي ينبغي أن يُحتكم إليها محل خلاف لا اتفاق عليه و لئن وجدت أرضية شبه واسعة، فيما يتعلق بتفسير النص الديني فإن هذه السلطة تكاد تختفي حين يتعلق الأمر بالنص الأدبي وتنكمش هذه المساحة بفعل غياب المرجعية المتفق عليها لأن المرجعية التي تعاملت مع النص المقدس لها ما يبررها و منها وضع العلماء قوانيننا للتأويل .

هكذا تبلورت النظرية التأويلية في بدايتها لدى الباحث انطلقت من التراث المتمثل في تجربة المفسرين و الشراح وشُيدت على ضوء النظريات التأويلية الغربية لأن تساندية الدوائر النصية و السياقية لا تتعد في جوهرها عن تصور شلاير ماخر لفكرة الدائرة التأويلية hermeneutical (circle) و لقد أشار الباحث إلى ذلك .

" فالأساس التأويلي في الحلقة الهرمينوطيقية هو فهم الكل انطلاقا من الجزء و فهم الجزء انطلاقا من الكل فالفهم أساسا عملية إحالية référentiel أو يقوم على الاختلاف ، إذ إن فهم الكلمة داخل الجملة مقارنة بكلمة أخرى أو اختلافا معها ، وذلك باستحضارها على مستوى المحور

العمودي/الاستبدالي l'axeparadigmatique كمعان و صور، وكذا بتمييزها عن غيرها من الكلمات داخل السياق النصي أو على مستوى المحور الأفقي / التركيبي l'axe syntagmatique⁽⁹⁾. و " تمتد العلاقة التبادلية لتشمل المفاهيم الذهنية ؛ فكل مفهوم مفرد يستمد معناه من السياق أو الأفق الذي ينسلك فيه ، ومع ذلك فان الأفق أو السياق إنما يتكون في حقيقة الأمر من العناصر نفسها التي يضفي عليها معناها و خلال هذا التفاعل الجدلي بين الكل و الجزء يمنح كل منهما الآخر معناه ومغزاه"⁽¹⁰⁾. "وسيعني (منهج) الفهم بما هو مشترك من خلال المقارنة ، وبما هو فريد من خلال الإلهام على سواء ، و سيكون منهجا مقارنا و إلهاما ".⁽¹¹⁾ فعملية الإلهام هي المحصلة النهائية التي تنتجها الحركة الدائرية بين الكل و الجزء لأن " الفهم عملية إحالية بالأساس فنحن نفهم الشيء بمقارنته بشيء آخر لدينا به معرفة، وما نفهمه يشكل نفسه في وحدات منظمة أو دوائر مكونة من أجزاء " ⁽¹²⁾. ففي الوقت الذي شرح شلاير ماخر كيفية عمل الدائرة التأويلية ، يكتفي محمد بازي في تبسيط عمل دوائر التأويلية التساندية وفق معايير الملاءمة و الانسجام بين العناصر التي يتم التركيب بينها عبر منطلق التبرير، وكأن هذا الأخير سيحدد طريقه معبدا بحيث بالفعل سيكون منطلق التبرير سهلا ومقنعا، أو يترك إلى السلطة المرجعية في حالة عدم التراضي بين المؤول و قرائه .

يبدو أن الباحث لم يتأثر بفكرة الدائرة التأويلية التي تعتمد هي أيضا على البنية القواعدية و تكاملها مع السياقات الخارجية فحسب، بل اهتم أيضا بفكرة المقارنة التي من خلالها يتجلى المعنى ، فعمل الدوائر الصغرى و الكبرى عند محمد بازي يتركز على تتبع التقابلات ،وهذه الأخيرة لا تأتي إلا بالمقارنة في مختلف مستوياتها النصية و السياقية ثم مقارنتها أي التقابلات، واستنتاج بعض الاحتمالات ليرجح الاحتمال الذي يخدم سياق النص ولا يتناقض مع البنية النصية .

لقد ظهرت ملامح منهاجية التأويل التقابلي في هذه المرحلة . فهي تلم و توّطر المستويات القرائية التي سماها الباحث من قبل الدوائر الصغرى و الدوائر الكبرى ، مؤكدا على تساندها و تعاونها ، و تُرسخ في تصوره جمالية التقابل التي تعني القراءة و تفتح لها أفقا أرحب في المسألة و التمثل.⁽¹³⁾ فالتأويل التقابلي هو تميم لنموذج المقترح فهو خاصة كونية و إنسانية و معرفية و إنتاجية و تأويلية⁽¹⁴⁾.

يُرجع الباحث الفضل في تبلور التأويل التقابلي إلى المدونة التراثية من جهة والى الدراسات الغربية الحديثة من جهة أخرى في قوله " أفادتنا المباحث البلاغية القديمة في إدراك المعاني ، و

كيفية تشكيلها . و قدمت لنا زاد مفيدا ، خاصة فيما يتعلق بالطباق و المقابلة . كما استفدنا من بعض المباحث الغربية الحديثة ، في رصدها و اعتنائها بالتقابل من زاوية منطقية أو نقدية أو لغوية . و كل هذا شكل لدينا قناعة بضرورة توسيع هذا المفهوم و إغناؤه ليشمل كل المستويات التي بإمكان القارئ المؤول أن يشركها - في حدود بلاغته التأويلية - في إعادة إنتاج المعنى " (15) . هذه القناعة هي التي جسدها الباحث في كتابه " نظرية التأويل التقابلي " فبعد أن كان التقابل مجرد آلية تتساند مع الدوائر الصغرى و الكبرى ، يصبح الآن النواة البنائية للنص ومنهجها لقراءته، بعد أن تم توسيع الفكرة إلى تصور شامل يسع الكون و النص و تأويله .

خلاصة المرحلة التأسيسية للنظرية أن الباحث انطلق من التراث لاستنباط منهجه التأويلي الذي بدا له في بداية الأمر جليا من خلال كتابات المفسرين و شراح الشعر، وقد تقاطع كليهما في ذات المحطات التي وسمها الباحث بالدوائر الصغرى التي تدرس المعنى على مستوى اللغة بكل مستوياته الصرفية و النحوية و الاشتقاقية و غير ها لتعضدها الدوائر الكبرى التي تمثل السياقات الخارجية المحلية لما خفي من المعاني . وحتى يبعد الباحث عن عمله النمطية المتكررة التي تسعى إلى تسطيح المعنى و قولته في إطار مسار قد يبدو ثابتا يتنقل فيه المؤول من نقطة لأخرى حتى تكتمل عنده صورة الدوائر الصغرى و الكبرى و هي تتجاوزه و تمتحن قدرته التأويلية يقترح الباحث كيفية بناء المعنى . و ذلك من خلال مستويات ثلاث هي: (16)

* مستوى التداني الدلالي و يتضمن (تحرير المعنى - تقرير المعنى - تكرير المعنى) و يشكل سلطة القصد الإنتاجي

* مستوى التوازي الدلالي و يتضمن (تبرير المعنى - تنوير المعنى - تطوير المعنى) يمثل حالات بين - بين

* مستوى التقاصي الدلالي يتضمن (تمرير المعنى - تحوير المعنى - تشوير المعنى) متجسدا في سلطة القصد التأويلي

مستوى التداني الدلالي: (17)

ينطلق تحرير المعنى من التحرر من الدلالة الإجمالية للنص حين تعجز عن توضيح المعنى المنشود ، و ذلك عن طريق تكرير المعنى الذي يقوم بإعادة صياغة القصد و المراد في صياغة لغوية جديدة ، و حينها يكون تقرير المعنى لا بإضافة أبعاد جديدة للمعنى وإنما يلتزم بظلال المعاني النصية . و محصلة هذا المستوى أنها تبني سلطة القصد الإنتاجي .

مستوى التوازي الدلالي: (18)

يبدأ بتطوير المعنى وذلك بالبحث فيما وراثية النص أو ما يترتب عنه ، و هذا بإضافة معاني جديدة مرتبطة به ومتفرعة عنه ،وهنا لا يتوقف المؤول على ما يظهر من مقصود النص كما هو الحال في المستوى الأول ، بل يسعى لتبرير المعنى و الدفاع عنه بعد أن تكشف له محاولا تقديمه في أوضح صورة عن طريق تفصيلات و شروح و أمثلة لتحويل الغموض وضوحا .ففي هذا المستوى يتحرر المؤول من الدائرة الصيقة بالبنية النصية متجاوزا لها بحيث يصبح معها بوضع التوازي الذي ينطلق من البنية النصية التي لا يمكنها الكشف عن كل شيء فتضطره إلى إبداء الرأي من أجل الوصول إلى تنوير المعنى .

مستوى التقاصي الدلالي: (19)

إذا كانت المستويات السابقة قد تركت المؤول قريبا من النص أولا لصيقا بينيته ثم موازيا لها فإن هذا المستوى الثالث يسعى إلى التحرر من سلطة المعنى النصي إلى سلطة القراءة و التأويل ، عن طريق تمرير المعنى عبر ما قاله الآخرون و عبر نصوصهم ؛ تحركه المرجعية الفكرية أو المذهبية أو السياسية من أجل خدمة هدف المؤول إن وجد تعارض النص مع هدفه ، و خير مثال على ذلك التأويل الشيعي و الصوفي للنص الديني .و تتدخل كذلك الذات المؤولة في تحويل المعنى عبر إخراجها من صورته الأصلية إلى صورة تجسد أهدافا خاصة بالمؤول تحقق غرضا دينيا أو أدبيا .و آخر ما تختتم به المستويات هو تنوير المعنى أو تفجيره حيث يتشظى المعنى فيتعدد و يتكاثر بحيث يعلي من سلطة الذات المؤولة و يترك لها متسعا لانجاز إبداعيتها . و بهذا تتشكل سلطة القصد التأويلي التي ترسم ملامح المؤول لا ملامح النص .

إذاً المستويات الثلاث هي مراحل بانية لعملية الفهم مشكلة صرح المعنى ؛ تنطلق من أساسات البنية النصية دعامة هذا الصرح و مشكلة جدراننا و أسقفا تتوازي مع البنية السطحية لتعالى طوابق المعنى شامخات حتى تعلق في فضاء المؤول لا تُرى إلى كما ينقل هو صورتها .

1 - 2: نظرية التأويل التقابلي - تأصيل التصور و المفاهيم:

في هذه المرحلة كما سبق الإشارة إليها توسع مفهوم التقابل عند الباحث، لا ليقف به عند حدود البلاغة العربية الكلاسيكية و إضافة تصنيفات وأنواع لم تكن موجودة، أو كانت موجودة ولكنها أخذت سياقات جديدة بل لصياغة نظرية التأويلي التقابلي، مسترشدا بالنظريات الحديثة العربية منها و الغربية، ولا يرى في ذلك ما يعيب تصوره، بل إنه دعم له وإثبات لصحة منطلقاته . قدم الباحث نظرية التأويل التقابلي في شكل يختلف عن المؤلف من قبل أن نتحدث عن المضمون فقد قسم الباحث كتابه " نظرية التأويل التقابلي - مقدمات بديلة لمعرفة النص و الخطاب - " (20) إلى : (ألواح ومسالك وتنزيلات)، فكان أن تضمنت الألواح السبع بمجمل فرضيات النظرية، تقابلها سبعة مسالك لإثبات صحتها، و المسالك السبع سيقابلها مثلها من التنزيلات، تحقق فيها الباحث من صحة الفرضيات، وذلك باختيار نماذج مختلفة من النصوص يقارنها بالتأويل التقابلي مثبتا نجاعة نظريته و فاعليتها في قراءة النصوص على اختلافها ، غير أن التنزيل الأخير أي السابع جعله لمراجعة الألواح ، و اتبعها بالملحقات التي تضمنت قاموسا مرجعيا للنظرية احتوى جل المفاهيم التي انبتت عليها تصوراته .لقد استغنى الباحث بهذه المنهجية عن المنهجية المعهودة في كتابة البحوث العلمية (مقدمة - فصول - الخاتمة) دون أن يرر هذا الاختيار، ولا بين العلاقة التي يمكن أن تجمع بين المنهجية و نظرية التأويل التقابلي .وإن كان البديل المنهجي في الكتابة (ألواح-مسالك- تنزيلات) سيفتح باب تأويل ليس هذا مقام الوقوف عنده، و لنبدأ بالفرضيات.

فرضيات النظرية :

قسم الباحث فرضيات النظرية إلى فرضيات كبرى مؤطرة تأسست عليها النظرية وأخرى صغرى متغيرة، تابعة ترتبط بقارئ معين، أو بتجربة قرائية خاصة تسبق أي تأويل لنص من النصوص . " أما الكبرى فحملها في النظر الشمولي إلى الكون على أساس تقابلي، تقابل العوالم، والأشياء، والألوان، والكلمات، والحالات، والوضعيات، والعلاقات، في أقصى ما يحمله ويحتمله التقابل من إمكانات": (21)

أ- النص عالم من المتقابلات الظاهرة والخفية، النصية والمبنية عبر أفعال التأويل.

ب- منتج النص يحوّل العالم المتقابل في تفاعله مع الذات، إلى عالم من المعاني المتقابلة عبر استراتيجيات تعبيرية مختلفة، إنه نظم للمعاني المتقابلة حسب إمكانات التعبير، ومقاصد التأليف، وضوابط الصيغ الجمالية.

ج- هذه التقابلات الظاهرة والباطنة لها من القوة الظاهرة والخفية ما يُبَلِّغ المقاصد والغايات من التأليف والإنتاج، ويحقق التأثير المرغوب فيه.

د- نفترض أن هذه التقابلات المؤسسة للمعنى هي الجوهر الأصل، والروح البانية للمعاني والتصورات، وهي محمولة إلينا عبر الكلمة المفردة، والجملة، والنص، والخطاب، ومستلزمات السياق الخارجي، والثقافة الموسوعة، والمعارف الخلفية المشتركة.

هـ- كل نص هو بناء تقابلي يعكس الخطاطات الأولية للمعنى عند منتجه، وعلينا تتبع هذه الخطاطات عبر تشريح تجزيي للمستويات البانية للنص (الحرف، الفعل، الكلمة، الجملة، العلاقات الداخلية، المقاطع، الترتيب، المساق، والسياق....).

و- إن أي اشتغال بالنموذج التقابلي لا ينطلق من خارج تراكمات العلوم النصية واللغوية والبلاغية والنحوية والسيمايائية والاجتماعية والتداولية، بل يتزود منها بحسب حاجاته، يأخذ منها ما ينفع في تحقيق الإشباع الدلالي، وانسجام التأويل؛ أي ما يُنتج في نهاية المطاف قراءة مؤوَّلة بليغة.

سار الباحث في إثبات صحة فروضه عبر المسالك السبع مستعينا بالبلاغة العربية القديمة التي حوت مباحث التقابل و الدراسات العربية و الغربية الحديثة و ما أنتجته من نظريات . فحاول أن يثبت تقابلية الكون في المسلك الأول حيث يرى أن ملاحظة الظواهر تقتضي حضور زوجها إما حضورا ماديا أو معنويا ، إذ مثلما تتقابل الماديات في الكون المادي تتقابل المعنويات في الكون المعنوي ، يستدل بقوله تعالى ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴾ الآية 36 سور يس . فهو يرى أن الكون المتقابل في القرآن الكريم خير دليل على انتظام الكون بشكل تقابلي .(22)

إن هذه الآية لا تقر بما ارتسم في فكر الباحث لأنها تتحدث عن خلق الأزواج في عالم الكائنات الحية حسب ما هو وارد في الآية لأنه ذُكر فيها خلق النبات من الأرض ، و الإنسان من نفسه ، فضلا عن عوالم أخرى لا يعلمها إلا الله و ذلك في قوله " وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ " وهذا لدلالة على عظمة الله في خلقه وتنزيهه ، فالآية تختص بعالم الأحياء لا المادة . أما إذا أخذنا بقول الذين فسروا كلمة الأزواج على أن المقصود بها الأصناف و الأنواع (23) ، فإن هذه الآية لن تثبت فكرة التقابل ، لأنها

ببساطة تنفي قدرة الإنسان على إحاطته بالكون و ما فيه أو العلم به على الوجه الصحيح الذي أراده خالقه ، وذلك في قوله تعالى: " وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ " فعدم علمنا لا ينفي حقيقة وجود الأشياء على نحو لا نتصوره أو لم نختدي إليه بعد. و عليه فإننا لا نستطيع أن نثبت فرضية الكون المتقابل و تأويل الآية لصالح الفرضية لأن فكرة التقابل موجود في ذهن الباحث الذي يرى بما صورة الكون في فهمه ومنطقه و ليست هي الحقيقة الصحيحة و المطلقة التي تحكم الكون وهذا في حد ذاته مبحث جدليّ في الفلسفة. إن معرفة نظام الكون على حقيقته ليست بهذه البساطة، فالأمر ممتنع لأننا جزء من هذا الكون و لسنا صانعيها حتى يتسنى لنا الإحاطة به و معرفة نظامه كحقيقة مطلقة. فالنظام رؤية تجلت من الملاحظة والعلاقات التي يفترضها التقابل بين شيئين هي محض افتراض حسب ما يقتضيه الحال و السياق لا كما هي على حقيقتها سواء تعلق الأمر بالماديات أو المعنويات. وما تعدد العلاقات و تغييرها إلا دليل على أنها مجرد احتمالات لسياق يفرض ذاته. فالتقابل في حقيقته هو وصف للكون وليس تفسيراً له، كما أنه توصيف لبنية النص و ليس تأويلاً لها. بخاصة ونحن نعلم أن اللغة اعتباطية، وما هي إلا وسيلة لتمثل العالم الخارجي في شكل علامات لسانية كانت أو غير لسانية.

و إذا كان التقابل يعني تواجه الأشياء بعضها لبعض، فإن العقل يُسلم أن الأشياء المتواجدة في مساحة ما أو مكان محدود حتما هي بالضرورة تواجه بعضها البعض بشكل من الأشكال . وإنما الميزة في معرفة العلاقة بين الأشياء المتواجدة أو المتقابلة و إثباتها . و هذه العلاقات في حد ذاتها متغيرة خاصة في سياق النص و تداولية الخطاب، و هذا راجع لاختلاف مواقع الرؤية من جهة و إلى أهمية العلاقات بالنسبة لمستخدمها من جهة أخرى. فأى فائدة حينها ترجى من فكرة تقابل الكون و بمستخدم النظرية ؟ و طبيعة الكون مختلفة عن طبيعة النص و ليس من السهل أن ثبت أن النص نسخة عن الكون أو مرآة عاكسة لنظامه - كما طمح في ذلك الباحث - وهذه النسخة حسب تصوره تتجلى في التقابل لأن كليهما قائم على هذا المفهوم .

فضلا عن هذا؛ فإن فرضية تقابل الكون لا يتم إثباتها إلا في تخصصات العلوم المادية لا الإنسانية . و بما أن الكون بهذه العظمة و السعة فإنه لن يتم تعميم الفكرة لسبب بسيط هو تنوع الحياة في هذا الكون و اختلافها مما يجعل تعدد الأنظمة فيها بما لا يسمح أن نقول ببساطة أنه قائم على التقابل ، و يبقى التقابل مجرد وصف لبعض الظواهر الكونية التي بدت لعقول البعض أنها متقابلة. لأن خلق الكون أعظم من أن تستوعبه عقولنا . لدرجة أن عالم الفيزياء ألبرت اينشتاين لم يصدق

فكرة اتساع الكون لأنه ظنه ساكنا مند الأزل إلى الأبد، فقام بتغيير معادلاته ليثبت معتقده ، غير أن "فريدمان" -وانطلاقا من نظرية اينشتاين النسبية - أثبت أن النسبية العامة تتطلب كونا ممتددا و متحركا. و حينها اعترف اينشتاين بفداحة خطأه⁽²⁴⁾. وهذا الاكتشاف أثبت الإعجاز في قوله تعالى ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ الذاريات: 47.

أما فرضية أن العقل يعمل بآلية التفكير التقابلي ؛ هي الأخرى فكرة لم يشتهها العلم والأعمال الأدبية و اللغوية التي ذكرها الباحث ليست دليلا على تقابلية التفكير، لأن العقل يعمل بطريقة عجز العلم في معرفتها وتتدخل فيها عوامل مؤثرة كثيرة ، ومع أن العقول تتقاسم تكوينها الفسيولوجي إلا أنها تختلف في قدراتها و ممارسة نشاطها. لذا من غير الممكن اختصار أنماط التفكير في أبسطها و هو نمط التقابلية، إن اعتبرناه بالفعل نمطا . بل إن مقابلة شيئين لبعضهما البعض لن تحب العقل عظيم الفهم، لأن التقابل مجرد وضع للأشياء قد يساعد على التفكير، ولكنه ليس نظاما أو مهارة من مهارات التفكير يطمح الباحث أن تعمم في مناهج التعليم . فتفاحة نيوتن لم تكن لها أية علاقة ظاهرة بموضوع الجاذبية و لكنها كانت حلا للمشكلة و لا حتى تواجد أرخميدس في حوض الماء ، لم يكن له علاقة بالضغط و ربما كان الرجل حينها يقابل في عقله معادلات و أرقاما ما كانت لتبهه الحل ، فيكون الحدس حلا للمشكلة .فما موقع الحدس في التفكير التقابلي ؟ و هو لا يقوم على التقابل لأنه " مقدرة على فهم الحقيقة مباشرة و فجأة دون تمييز منطقي استدلالي"⁽²⁵⁾.

مفهوم التأويل التقابلي و عملياته :

يعرف الباحث التأويل بقوله " هو إعادة بناء المعنى النصي أو الخطابي وبيانه فهما و تفههما سواء تم عبر ظاهر الألفاظ ، أو تم تجاوز الظاهر نحو البنيات العميقة للمعنى ، و التأويل هو الحقيقة التي يؤول إليها الكلام أي حقيقته الأولية التي يراد تعرف المخاطبين عليها ، فالتأويل أول المعنى و حقيقته و في الوقت ذاته مآله في فهم المتفهمين "⁽²⁶⁾. هذا التعريف لا يختلف عن تعريف القدامى للتأويل سواء من الناحية اللغوية أو الاصطلاحية التي تحملها دلالة التأويل من الرجوع إلى أول الشيء أو البحث في مآله⁽²⁷⁾. بل إن الباحث يجعل التفسير و التأويل شيئا واحدا من خلال قوله : " سواء تم عبر ظاهر الألفاظ ، أو تم تجاوز الظاهر نحو البنيات العميقة للمعنى " لأن الباحث كما سبق ذكره يعتبر منهج المفسرين نظرية متكاملة في التأويل ، مع أن القدامى وإن كان الأوائل منهم لم يفرقوا بين التفسير و التأويل، فإن المتأخرين قد تنبهوا لفروق كثيرة منها أن التفسير " مرتبط بظاهر

اللفظ وفق ما جرت عليه عادة التواصل عند أهل الخبر و المعنى الظاهر هو الحاصل من علاقة الدال بالمدلول وفق أسس التواضع و ملكة اللسان⁽²⁸⁾. في الوقت الذي يعني التأويل الإبانة التي تحتاج إلى العودة و المراجعة حتى يتضح المعنى. و ذهب البعض إلى القول بأن التفسير بيان لفظ لا يحتمل إلا وجهًا واحدًا ، و التأويل توجيه لفظ متوجه إلى معان مختلفة إلا واحد منها بما ظهر أدلته⁽²⁹⁾. أما التأويل التقابلي: فيعرفه بأنه " أداة بيان المعنى و تفهيمه ، عبر إحداث التقابل بين المعاني والعناصر بما يوضحها أكثر؛ لأن التقابل حاصل في التفكير المنتج للغة و في انتظام المعاني و يجليه التقابل بمستوياته الكثيرة و مظاهره التي يفسح لها ذكاء المتفهم و اجتهاده "⁽³⁰⁾. فالتأويل التقابلي في صورته البسيطة ينبني على رصد التقابلات داخل بنية اللغة على اعتبار أن نظام اللغة قائم على التقابل، و الذي بمعرفته سيساهم في فهم المعنى لدى الذكي المتفهم .

آخر الباحث ضبط مفهوم التقابل إلى غاية المسلك السادس، ظنا منه أنه واضح بما يكفي لأن معنى التقابل يحتفظ بمفهومه اللغوي. فتعريفه عند ابن منظور "تقابل القوم : استقبل بعضهم بعض و قوله تعالى (إخواننا على سرر متقابلين) جاء في التفسير أنه لا ينظر بعضهم في قفا بعض ، المقابلة : المواجهة و التقابل مثله "⁽³¹⁾. " أما معناه ضمن المقاربة التأويلية فهو التواجه الحاصل - نصيا - أو المحدث -فهما - بين بنيتين أو أكثر، بأي شكل من أشكال التقابل الممكنة إنتاجا و تأويلا: التقابل بالمقارنة، التقابل بالسببية،... التقابل المادي و المعنوي .. التقابل النصي، التقابل السياقي...⁽³²⁾. إذاً التقابل في حد ذاته لا يعدو أن يكون كما سبق ذكره سوى توصيف للبنية النصية التي يفترض الباحث أنها قائمة على التقابل، و هذا ما ستراه من خلال تعريفه للنص، كما فتح الباب واسعا لتقابل النص مع السياقات الخارجية و كل ما يمكن أن يشكل مع بنيته شكلا من أشكال التقابل .

مفهوم النص: " هو مجموعة البنيات الجزئية المتقابلة ظاهريا أو باطنيا ، أفقيا أو عموديا ، وفق أية علاقة تواجه (وجهها لوجه) قابلة للملاحظة و الوصف أو الافتراض أو البناء التأويلي " لذا يعتبر "النص كونا لغويا متقابلا ، في بنياته و تأويلاته "⁽³³⁾. هذا ما ترسخ في تصور الباحث كقناعة ما عادت تستحق تدليل، بأن النص يتشكل من تقابل الكلمات و الحمل و الفقرات و السياقات حسب ما تقتضيه علاقة التقابل التي يفترض في المؤول أو القارئ إيجادها، و قد تعدد و تختلف . يبدو أن الباحث يفترض أن كل النصوص واضحة مفهومة بحيث تقدم تقابلاتها جاهزة للمؤول و عليه فقط أن يستنبط المعنى منها . و قد أهمل من النص كل بنية يعجز المؤول أن يصيغها في شكل

تقابل لأنه يفترض أنه بالضرورة يمكن تحويل النص إلى تقابلات بشكل ما ظاهرا كان أو خفيا - غير أن النص ليس دائما يمكنه تقديم هذه التقابلات - وهذا ما جعل الباحث يسوي بين جميع النصوص من حيث فهمها وتفهمها لأن كل أشكال النصوص عنده مبنية على أساس واحد هو التقابل ، و بالتالي لا يوجد ما يبرر اختلاف قراءة النص الشعري عن النص النثري ، بل إن كل أشكال النثر واحدة تذوب خصائصها داخل التقابلات لذا فالتأويل عند محمد بآزي أخذ شكلا واحدا هو رصد التقابلات في النص لأن النص أساسا هو تظهر لهذه التقابلات وتحديد علاقاتها لتتكشف عن طريق المقابلة معاني النصوص .

التفكير بالمقابل و الفهم بالتقابلات :

يرى الباحث أن التقابل كمفهوم تناولته العديد من الدراسات في مختلف التخصصات والمجالات منها اللغوي أو على مستوى العلوم الفيزيائية و الرياضية، وقدم الباحث مثلا عن المهتمين بالبحث التقابلي محمد مفتاح في كتابه " مفاهيم موسعة لنظرية شعرية " خلص في كتابه حسب قول الباحث " أن العالم الذهني البشري الذي وضع به الإنسان تقسيمات منطقية رياضية انطلق من التفكير بالمقابل ، وهو تفكير يتأسس على المفارقة من حيث أنه لا وجود لشيء إلا بمقابله " و هو ما يعني أن هذه الآلية متجذرة في الطبيعة و في الطبيعة البشرية كذلك ، و بالتالي فهي متعالية عن المكان و الزمان و الأشخاص " (34) " وعلى هذا الأساس التقابلي الكوني نشأت العلوم و تفرعت المباحث ، وانتظمت السيميائيات و التأويليات الحديثة " (35).

"تشتغل هذه التقابلات في البنية الذهنية المنتجة للخطاب بشكل تلقائي ، وإنما نسعى لإبرازها وجعلها مسلكا للفهم وإبراز لطريقة انتظام اللغة في مهدها الإنتاجي وفي تشكلها اللغوي ، ثم في تلقيها التلقائي التقابلي، أو الواعي و الذي تحركه آلية التقابل " (36) .

و"يقوم فهم النص بالتقابلات على عمليات كثيرة مترابطة يحكمها التفكير التقابلي بدءا من الفروض الاستكشافية القائمة على الإبقاء و الحو ، ثم مواجهة النص وما يحصل خلالها من تبادل للمعاني المتقابلة ، يتم الاحتفاظ بما يلائم السياقات الداخلية و الخارجية . ثم عملية التذكير والدعم والتطعيم، و توجيه اسراتيجية القراءة التقابلية و تعزيزها، ثم استدعاء اللواحق والمتممات المتقابلة لإغناء المعنى، و الأطر المعرفية الموسعة، وربط النص بتاريخ النوع الأدبي أو المعرفي الذي ينتمي إليه " (37)

تبدو عملية الفهم بالتقابلات بسيطة وسلسلة على المؤول فقط أن يتتبع الخطوات ليجد نفسه أمام تحليلات المعنى من غير تعب أو نصب، لأن عقبات الفهم غير موجودة ولو وجدت فالقراءة التقابلية ستذلل الصعاب مع أنها في حقيقة الأمر لم تحتم بالمشكلات الحقيقية التي تعترض عملية التأويل . فالنصوص الإبداعية التي تفتح باب التأويل على مشرعيه لطبيعة بنيتها النصية المختلفة عن أي بناء لغوي قد يصعب التعرف فيها على التقابلات بل هناك نصوص يغيب فيها التقابل و يكثر فيها الغموض كما نجد في الشعر الحر خاصة منه الرمزي و خير مثال على ذلك محمود درويش، مما يتعذر الحديث بهذه البساطة عن فهم النص لأن الباحث لم يتوقف عند إشكاليات التأويل الحقيقية .

الأساس التقابلي في البلاغة العربية :

حاول الباحث اختبار بعض النماذج من البلاغة العربية القديمة ليثبت صحة فرضيته التي تنطلق من فكرة أن البلاغة العربية قائمة على نظام التقابل . فاجتهد في تتبع التقابلات التي انبت عليها البلاغة العربية و قد بدأ علمه هذا مع كتابه " التأويلية العربية " و استكمل عمله في كتابه " نظرية التأويل التقابلي " بالوقوف على نماذج أخرى مثال ذلك : الكناية و الاستعارة و الموازات و التشطير ... و غيرها من المباحث . ففي الاستعارة يستعرض رأي العسكري ويسوق له أمثلة يقارن فيها بين الحقيقة و المجاز، مستخلصا أن الاستعارة أبلغ و أدق ليستنتج أن العسكري قد أسس في خطابه البلاغي نظرية واسعة للمعنى في التراث العربي، و من بين الآليات الخفية لهذه النظرية البعد التقابلي⁽³⁸⁾. و على هذا المنوال سار الباحث في تتبع مباحث البلاغة و النقد، غايته في ذلك إثبات أن البلاغة العربية قد تأسست على أساس التقابل. و في الوقت الذي اهتم القدامى بالعلاقات بين التقابلات لإدراكهم أن جمالية القول البليغ تكمن في هذه العلاقة وما تنطوي عليه من أغراض، فإن الباحث أقل اهتماما بذلك، مع أنه قد قدم قاموسا تضمن العديد من التقابلات دون النظر في بلاغتها، و ترك المجال مفتوحا للباحثين بإضافة أنواع أخرى فهي عند متكاثرة، متشعبة .

ومثلما حاول الباحث أن يثب وجهة نظره في الكون المتقابل بالاعتماد على بعض الشواهد القرآنية و الاستدلال ببعض ما توصلت إليه العلوم في الرياضيات و الفيزياء، يحاول إثبات التقابل

النصي انطلاقا من تركيبية البلاغة العربية ، و عليه تصبح كل بنية أساسية لأي نص هي مجموع التقابلات التي تشكله وهي بدورها تنقسم إلى تقابلات صغرى و كبرى (موسعة) .
 فالتقابلات الصغرى تتعلق ببنية النص نذكر منها التقابل النقيضي (الطباق) ،التقابل النظيري ، تقابل الإثبات و النفي ، تقابل التشابه تقابل الفاعل و المفعول و تقابل التشارك اللفظي (39) ... وغيرها، وكلها مستقاة من البلاغة العربية ،وشواهد من المدونة التراثية.وقد ترك باب الاجتهاد مفتوحا في إيجاد أنماط أخرى من التقابلات .إن ما جاء به الباحث على المستوى التقابلات النصية، يوافق في جزء منه ما جاء به القدماء، سواء على مستوى التسمية أو التحديد أو التمثيل. إلا أن إضافاته كانت كثيرة في هذا الباب، حيث جاء بمجموعة من التقابلات غير المعهودة(40).

أما التقابلات الكبرى الموسعة فهي كل الأشكال التي تتجاوز الكلمة و الجملة و توسع أفق الإدراك و التأويل ليشمل الفقرات و المقاطع و النصوص الموازية ، وقد اكتفى الباحث على حد قوله بما يسمح بكفاية تأويلية، فذكر : (41)

* تقابل النص و سياقه التاريخي أو النفسي أو الاجتماعي

* تقابلات النسق التواصلية للخطاب

* تقابل نصوص الديوان الواحد أو الغرض الواحد

* تقابل النص و العنوان

* التقابل النووي و التقابلات الاستيعابية

و ما سماه الباحث بالتقابلات السياقية(الكبرى) يُعد إضافة خالصة أسهم بها الباحث في إغناء مفهوم التقابل و في توسيع أمثاله. لأننا لا نجد هذه التقابلات عند القدماء ولا حتى عند المحدثين ممن اطلعنا على إنتاجاتهم... أغنى بها التقابل من حقول معرفية متنوعة، شملت البديع والمعاني والبيان والنحو والدلالة والشعر والفنون السردية والتواصل وغيرها، وشمولية العلوم التي استفاد منها الباحث في تععيده لهذه الأنواع الجديدة من التقابل، توحى برغبته في تكوين آليات تقابلية صالحة لقراءة وتأويل جميع أنواع النصوص والخطابات(42).

2- النظرية بين التجريب و الفاعلية :

كثيرا ما تولد النظريات ولا يهتم أصحابها بتجريبها بشكل تام وعلى مختلف الأشكال الأدبية و الخطابات و يكتفون ببعض النماذج البسيطة الشارحة للمفاهيم التي يقدمونها . لكن الباحث

محمد بازّي أكثر المطبقين لمفاهيم نظريته وعلى مختلف الأشكال الأدبية حتى الشعبية منها ، استقل بعضها بكتب كما هو الحال مع كتابه "تقابلات النص وبلاغة الخطاب - نحو تأويل تقابلي- اهتم فيه بتأويل نموذج من الخطاب الديني و الخطاب الحجاجي و الخطاب الشعري و خطاب الحكمة (43). فضلا عن النماذج التي كانت ممارسة تطبيقية مباشرة للمفاهيم النظرية ومنهاجيتها .

إن الباحث يفترض في المؤول البليغ تمكنه من الكفاية التأويلية بحيث يمتلك بلاغة الفهم والتفهم(44)، ومع ذلك فإن أغلب النماذج التي قاربا بالمقاربة التأويلية التقابلية لم تعكس هذه الفرضية في عمله، بل أكثر ما اهتم به هو إثبات أن هذه النصوص مبنية على التقابل، و في البعض منها أخفق في الوصول إلى التقابلات الهدف و التي من خلالها يكشف النص عن مكوناته . فضلا عن غياب القراءة التي تبرز جمالية النص أو تصل به إلى دفين معانيه .

لقد غلب على المقاربات التأويلية التقابلية للنماذج التي اختارها الباحث تتبع التقابلات في النصوص و الخطابات ومحاولة تحليلها بالمقارنة للوصول إلى مقاصد النص التي يبدو أنها متجلية سلفا دون الاهتمام بجمالية المعنى أو الوصول إلى مقاصد النص كما كان يرجو. ويظهر هذا واضحا في مقارنته لقصيدة المتنبي " حالات الزمان عليك شتى" (45)، و هي القصيدة التي يرثي فيها الشاعر والده سيف الدولة .فقد رصد الباحث مختلف التقابلات ساعده في ذلك كثرة الدراسات في شعر المتنبي القديمة منها و الحديثة . و ربما لهذا السبب اختار القصيدة لأنه لم يفصح عن ذلك، وكان المتوقع أن يختار نصا معاصرا يجذب اهتمام القارئ، و يمكن أن تظهر من خلاله جمالية التأويلية التقابلية و قدرتها على فهم النصوص المتمنعة والمستعصية على الفهم خاصة. لكن يبدو أن القصيدة العمودية أغنى بالتقابلات من قصيدة الشعر الحر (لأن كل النماذج الشعرية المدروسة كانت منها)، فضلا عن كون هذه الأخيرة لا تقدم التقابلات جاهزة لشدة ما يكتنفها من غموض يعسر معه الوصول إلى التقابلات ظاهرها وخفيها ، وهنا تصبح المثالية التي كان يتحدث عنها الباحث قد تبخرت ،بدليل أن الباحث في حد ذاته لم يستطع أن يتجاوز مستوى وصف التقابلات ،فقد استغرق جهده في رصد مختلف التقابلات مشكلا من بعضها مخططات و أشكالا بدت كأنها منفصلة عن بعضها البعض لا يجمعها نسق واحد (46) ، و تعثر الباحث في الوصول إلى مقاصد النص أو الوقوف على جمالية معانيه ،بل إن جمالية البلاغة العربية قد ماتت على عتبات رصد التقابلات وتحليلها ، وحيث تكثر التقابلات، و يغيب النسق الذي يجمعها تغيب معاني النص في متهاتات البحث عنها، لأن فكرة رصد التقابلات ستقع في المأزق الذي وقعت فيه الدائرة التأويلية لشلالير

ماخر " وهو -المفارقة التي تستوجب أن فهم الكل لا يتأتى إلا بفهم الجزء و في الوقت ذاته فإن الجزء لا يتضح إلا من خلال فهم الكل، وبهذا يصعب تحقيق هذه المعادلة. (47)

فالتأويلية التقابلية أيضا تواجه هذه المشكلة، فكيف يمكن تحديد التقابلات الصغرى وهي تحتاج بالضرورة إلى فهم التقابلات الكبرى و تقابلات الهدف، التي من خلالها يمكن تحديد التقابلات الصغرى المساهمة في بناء المعنى حتى لا تصبح عملية رصد التقابلات عشوائية واحتمالية تُضيع الجهد في إحصاء كل التقابلات ليجد المؤول نفسه في الأخير أنه في غنى عنها، أو قد يكتشف خطأ بعضها، ومن جهة ثانية كيف يمكن الوصول إلى التقابلات الكبرى و تقابلات الهدف إن لم تكن التقابلات الصغرى هي التي ساهمت في الوصول إليها. بل إن التقابلات الصغرى و الكبرى لا يمكن الوصول إليها إلا بمستوى من الفهم الأولي لو تعذر لأصبحت الافتراضات الصغرى التي طرحها الباحث ممتنعة.

و فيما يتعلق بمقاربة النص السردي، فإن الباحث يراه مثل سائر أنواع النصوص، عالم من التقابلات الخفية و الظاهرة، و الموضوعية و الفنية، كتقابل النص و العنوان، و تقابل العتبات النصية، و تقابل النص و المقدمة، و تقابل النص و الحواشي، و تقابل بنيات الأنواع الأدبية في النص، وهي بنيات عليا تحدد خصائص النوع الأدبي، و غيرها من التقابلات التي تحيط بالنص من التأليفية أو المعرفية أو التأويلية(48).

لقد تساوَت كل النصوص على اختلافها عند الباحث في آلية واحد تطبق على الجميع تتمثل بالدرجة الأولى في رصد التقابلات وتتبعها مع انتقائية يتركها الباحث للمؤول لأن رصد التقابلات ستختلف بالضرورة من مؤول لأخر حسب قدرة الفهم. و يتعذر علينا في هذا البحث المحدود الوقوف على النماذج التي اختارها الباحث لكثرتها وتنوعها: نماذج من القرآن الكريم وأخرى من الحديث الشريف والنص الأدبي بنوعيه الشعري و النثري بمختلف أشكاله (الرواية، القصة، الحكاية، الأمثال، الرسائل، الطرفة). وقد بدا تجريب النظرية على بعض النماذج الفنية كالأمثال و اختار منها الشعبية، تجربة لم تأت بمجديد لأن التأويل سبيل للكشف عن ما غمض فهمه، و ليس للبحث في تكوين بنية النص، فالنبوية كانت أفضل من شرح النص و وقف على مكوناته. و عليه ما قيمة تطبيق النظرية على أمثال بعضها يحتاج إلى معرفة مورده حتى يتضح معناه، وأخرى يمكن فهمها انطلاقا من بنيتها. أما توظيفها ضمن النصوص فيتحكم فيها السياق ليقدمها بمعنى آخر، فالمثل المعروف " أجود من حاتم" قد يقصد به البخل لا الكرم لو قيل لبخيل من باب الاستهزاء. لكن

الباحث مع ذلك أفرداها بالدراسة كنصوص مستقلة غير موظفة ضمن السياق، ليشبت فقط أن الأمثال تبني على علاقات تقابلية.

كثرت النماذج التي قاربها الباحث بمقارنته التأويلية التقابلية و حسبنا أننا أشرنا لتجربته مع شعر المتنبيّ والآن نقدم نموذجا يمكن تتبعه حتى النهاية لأنه عبارة عن حكاية قصيرة من حكايا "كليلة ودمنة"، فبإمكان هذا النموذج أن يبين مدى فاعلية النظرية في قراءة النصوص من ضعفها.

ينطلق كتاب "كليلة ودمنة" حسب الباحث " من فلسفة تقابلية موجهة، و خطة سردية واحدة يدير خيوطها الملك دبشليم، فهو الذي يقابل بين موضوع القصة ورغبته في ضرب مثل من الأمثال حول قضية تخصه مثل تسير الملك أو تفيد الإنسان بصفة. ولهذا نجد هذه اللازمة تتكرر في بداية كل باب " قال دبشليم الملك: قد سمعت المثل فاضرب لي مثلا في الشأن"، فالذي يتغير هو موضوع كل باب و تبعا لذلك تتغير شخوصه وعوالمه، و تتقابل الحكايات تقابلا متتابعيا، و تقابلا تعالقا و تميميا، وكأنها مقاطع صغرى في بنية سردية كبرى " (49). قسم الباحث الخطاب في كتاب "كليلة ودمنة" إلى ثلاثة أنماط وفق طبيعة شخوص الحكاية: فالخطاب الرمزي تمثله القصص التي جاءت على ألسنة الحيوانات، والخطاب الشفاف شخوص قصصه بشرية، أما الخطاب الشبه شفاف فهو الذي مزج بين النوعين السابقين، ثم يقابل هذه الخطابات بمتلقين حسب مستوى كل خطاب "خطاب رمزي (مق) الحكماء و الفلاسفة، وخطاب شبه رمزي (مق) الملوك و العوام، و خطاب غير رمزي شفاف العامة من الناس (50).

وهذه المقابلة في حد ذاتها غير مؤسسة على منطلق التبرير الذي دعا إليه الباحث لأن الحكماء و الفلاسفة يرون في كل الخطابات أهمية و يمكن قراءتها من أوجه مختلفة و الاستفادة منها، بل إن الفلاسفة هم من يحولون الأمور البسيطة إلى إشكالات بحثية، وهذا يعني أن اهتمامهم سيشمل كل أنواع الخطابات السابقة الذكر. و الخطاب الرمزي الذي خص به هذه الفئة للأسف الشديد إنه في واقع الحال هو الخطاب الذي عادة ما يوجه للأطفال الصغار في زمننا من أجل أغراض تعليمية و تربوية بأسلوب جذاب، وكثيرا ما نجد قصص "كليلة ودمنة" مبرمجة في مراحل التعليم المختلفة وحكاية "الحمامة و الثعلب ومالك الحزين" مبرمجة في دروس المطالعة الموجهة لسنة الثانية من التعليم الثانوي ببلدنا الجزائر (51). كما أن إقراره بوجود خطاب شفاف خاص بالعامية، هل يعني هذا أنه لا يستحق التأويل لوضوحه؟

نقف الآن عند ملخص حكاية "الحمامة و الثعلب ومالك الحزين" ليتسنى لنا فهم مقارنة الباحث لها بالمقاربة التأويلية التقابلية ، و ننظر في مدى فاعلية النظرية في الكشف عن معانيها:

ملخص القصة :

كان الثعلب يهدد الحمامة التي تعيش على رأس نخلة بالصياح إن لم ترم له فراخها ، مر بها الملك الحزين فعلم منها حالها و سبب حزنها ، فقدم لها النصيحة بأن لا تفعل في المرة القادمة وإن استطاع الثعلب الصعود إليها فليفعل و تطير هي سالمة. فحين أقبل عليها الثعلب كعادته لم تستجب له .وهنا علم الثعلب بأن هذه ليست حيلتها، فاستخبرها الأمر و علم أن مالك الحزين صاحب النصيحة ،فأتجه صوبه حيث يتواجد على شاطئ النهر ، وبجيلة منه وهو يحاوره استدرجه إلى حتفه حتى تتمكن منه و انقض عليه ، ثم قال : يا عدو نفسيه ، ترى الرأي للحمامة ، وتعلمها الحيلة لنفسها ، و تعجز عن ذلك لنفسك ، حتى يتمكن منك عدوك؟(52)

" يمكن الارتكاز في قراءة هذه الحكاية على الجوانب التالية:القوى الفاعلة المتقابلة في النص :الثعلب مقابل الحمامة و مالك الحزين وهما طائران .إن اختيار هذه الأنواع دون غيرها عند صوغ الحكاية نابع مما تحمله من دلالات ،يمكن فهم ذلك أكثر من خلال التحليل بالمقومات"(53) لم يكن الباحث بحاجة إلى التحليل بالمقومات لأن هذا التحليل لا يعكس حقيقة هذه الحيوانات على أرض الواقع وإنما هو مجرد وصف لملاحها من خلال السياق القصصي الذي وظفت فيه .فكانت الحمامة الوديعه قليلة الحيلة و ملك الحزين الودود المحب للخير الناصح و المغفل أما الثعلب فهو الذكي المعتدي الماكر و المحتال . ليبدأ الباحث في استخراج تقابلات النص واحتمالات التأويل لأجل قراءة رمزية وتقابلية على حد تعبيره، فكانت التقابلات كما يلي : الحمامة (مق)رأس النخلة (مق)العش (مق)البيض (مق) الفراخ (مق) الثعلب مللك الحزين (مق)الريح ..؟(54)

ننبه إلى أن الثعلب يفترض أن يكون مقابل للمالك الحزين لكن يبدو أن لفظة (مق) و التي تعني " مقابل" قد سقطت سهوا . يحاول الباحث بعد ذلك تحليل هذه التقابلات و تبيان العلاقة بينها وكيف أسهمت في بناء المعنى ، فيتحدث بلغة بسيطة عن الحيوانات التي تخرج من دائرة صفتها إلى دائرة الصفات البشرية من أجل أن تصنع بعدا رمزيا يراه الباحث أنه نظاما تقابليا، ليتتبع هذه الرموز الحيوانية التي تتفق فيها كل الثقافات ، فالثعلب رمز للمكر و الحيلة و الحمامة للوداعة و السلام و الأسد للشجاعة ...وغيرها. ولم يهتم الباحث بتحليل رموز القصة حسب أدوارها في

الأحداث بل كان يريد من قراءة القصة في ظل مقارنته التأويلية التقابلية أن يثبت فقط أنها قائمة على التقابل ، و لكن كيف يوصل التقابل إلى المعاني الخفية ؟ لم يستطع الباحث الوصول إلى ذلك ، لأنه قيد نفسه سلفا بالمقصد المصرح به في بداية الحكاية وهو طلب الملك دبشليم من بيدبا الفيلسوف أن يحكي له عن مثل الشخص الذي يرى لغيره النصيحة ولا يراها لنفسه⁽⁵⁵⁾.

فلو أخذنا بالرمزية في هذه القصة حتما أن ما ذكره الباحث لا يخدم معاني القصة و يناقضها لأننا حين نتقبل أن الحمامة رمز الوداعة و السلام قد جسدت معاني الخوف لأنها كانت تقدم فراخها وجبة جاهزة للتعلم دون أية محاولة لإنقاذهم، فهل هذا يعني أن السلام في حد ذاته يتضمن الخوف و الغباوة و الوداعة محض سذاجة ؟ لأن الحمامة لو امتنعت فقط عن رمي فراخها للتعلم لما فقدتهم . و إن سرنا وفق هذا التحليل سيصبح الفهم ربما بعيدا عن مرامي القصة . مع ملاحظة أن الرمز يمتاز ببعدين بعد أنتجت الثقافة أو ما تواضع عليه جماعة من الناس و البعد الآخر هو ما يأخذه الرمز ضمن السياق و قد يتفق مع بعده المتفق عليه وقد يعارضه أو يختلف عنه من أجل أن يخدم هدف النص.

فالباحث مع أنه رصد التقابلات كما أشرنا إليها سابقا فإنه لم يهتم بتحديد العلاقة بين هذه التقابلات و ما يمكن أن تنتجها هذه العلاقات . فلقد كانت التقابلات عبارة عن سلسلة بلا نتيجة أو من غير هدف وكثيرا ما كان الباحث يقع في مقارنته للنصوص مقارنة تأويلية تقابلية في هذا المأزق وهو تحويل القراءة إلى مجرد رصد للتقابلات دون القدرة على تحليلها بالشكل الذي يصل إلى معاني النص أو تقابلات الهدف كما وسمها . بل يكتفي بشروح بسيطة يحسبها كافية لتكشف معاني النص الجاهزة .

انتقل بعدها إلى تقابل الأمكنة " النخلة : مكان تفرخ الحمامة، مستقرها رمز يقابله العلو والابتعاد عن الخطر ؛ الذي يريح يصعد دائما للأعلى . الحمامة ربحت المعركة فكان طبيعيا أن يكون مكانها هو الأعلى مقابل شاطئ النهر ، مكان منبسط يختاره الراوي للحدث ، يسلم المتلقي بإمكانية القضاء على الملك الحزين من طرف الثعلب ، ذلك انه لو اختار مكانا عاليا : شجرة أو نخلة لما أمكن إيجاد تسلسل منطقي للحدث ، شاطئ النهر هو المكان الذي يلقي فيه مالك الحزين حتفه نتيجة سوء تدبيره و انطلاء الحيلة عليه ، وكان الراوي يختار الاتجاه السفلي لمن يسير مسار مالك الحزين"⁽⁵⁶⁾.

إن تقابل الأمكنة نظر إليه الباحث من منظور سيميائي ، لأن التقابل لا يمكن أن يوصل لشيء غير أن هذا التحليل تضمنته تناقضات .إن النخلة التي ترمز للعلو و الخلاص حسب رأي الباحث كانت في بداية القصة قلعة بلا حصون جعلت الحمامة ترمي بفراخها للثعلب بمجرد التهديد و الصراخ ، و ما كانت لتعلم أنها تحظى بهذا المكان الآمن الذي يجعلها تفوز و تريح اللعبة مثلما ظن الباحث ، وهنا تظهر الحمامة مقابل الإنسان الذي يمتلك قدرات هائلة وظروف مساعدة و لكن في كثير من الأحيان الخوف يمنعه من استغلالها أو توظيفها لنجاته من المآزق .وهذا بعض ما غفل عنه الكاتب أما ما يتعلق بشاطئ النهر كـمقابل للنخلة الآمنة والذي يعتبره الباحث ضرورة لا مناص منها لتسلسل الأحداث بشكل منطقي ، هو أيضا تحليل يوجد ما يدحضه لأن الثعلب رمز الحلية و الخديعة ما كان ليعدم وسيلة لإيقاع مالك الحزين حتى لو كان بأعلى النخلة كان سيحاوره بالشكل الذي يجعله يقترب منه و ينقض عليه فيقول له مثلا :انزل و أرنى كيف تفعل فأنا لا يتأتى لي رؤيتك و أنت بأعلى النخلة وأرغب الاستفادة منك ، أو قد يغريه بأية حيلة ليقترب منه . ولو فعل الراوي هذا لربما كانت القصة أبلغ لأن الحيلة تجلت في الحوار فهو يجسد ذكاء صاحبه و شدة دهائه و ليس المكان هو السبب لأن مالك الحزين لو تفتن إلى عدوه وفهم مقصده لما لقي حتفه و طار بعيدا من قبل أن يتمكن منه.

فالحوار ، حيلة لاستدراج مالك الحزين لحتفه و ليس مكان تواجهه أو الريح هي العامل المساعد في ذلك .و قد كان الثعلب يصرخ على الحمامة ويهددها لينال مراده، وهذا كاف لها لسداجتها ، لكن حين علم بمالك الحزين وما أسداه من نصيحة غير أسلوب الصراخ و التهديد مع الحمامة الخائفة و الجبانة إلى لغة احتيال جديدة يستميل بها مالك الحزين الذي ظن نفسه ذكيا ناسيا أن الثعلب خصمه . ففي حياة الناس لا يسدي البعض النصيحة حتى لو استنصح مخافة الخصم إن كان قويا ، وربما النصيحة الغالية هي تجنبه و الابتعاد عنه .لكن مالك الحزين لم ينصح الحمامة بذلك ، فهل السداجة صفة عامة في الطيور ؟

كان الثعلب يريد أن يوقع مالك الحزين في فخه حين قال له " فأرني كيف تصنع ؟ فلعمري ، يا معشر الطير، لقد فضلكن الله علينا إنكن تدرين في ساعة واحدة ، مثل ما ندرى في سنة ، وتبلغن ما لا نبلغ، و تُدخلن رؤوسكن تحت اجنتحتكن من البرد و الريح ، فهنيئا لك ، فارني كيف تصنع " هذا الكلام الذي يتضمن مديحا لمالك الحزين و كل جنسه (الطير) زرع في نفسه ثقة ساقته للهلاك وأراد أن يثبت للثعلب ما هو به أعلم . وهنا أيضا معنى جميل للذين يغترون بقدراتهم

فيرد بهم ذلك إلى خطر عظيم وما أكثر هذا النوع . و يصبح عندها صنيع الحمامة و مالك الحزين على مستوى تقابل النقيض هي غير واثقة من قدراتها وهو واثق درجة الغرور و النتيجة كانت واحدة الهلاك ، و عليه فالمعاني في هذه القصة كثيرة بل حتى التقابلات قد تتجلى كلما تعمقنا في الفهم أو بتعبير الباحث فإن التقابلات الصغرى و الكبرى تؤدي في نهاية المطاف إلى تقابلات الهدف التي لم يستطع هو الوصول إليها لتقيده بهدف و مقصد القصة المذكور منذ البداية .

" أما عامل الريح فيمكن اعتباره رمزا مقابلا للقوة المهددة لمصير المرموز إليه بمالك الحزين ، الإنسان الذي يرى الرأي لغيره ولا يراه لنفسه "(57) هذا رأي الباحث الذي كان همه الوحيد أن يجد التقابلات التي تخدمه في النص لأن الريح كانت مجرد خدعة في سياق الحديث ولا تظهر في القصة على أنها رمزا مقابلا للقوة مهددا لمالك الحزين لأن الذي أوقع هذا الأخير في حفته هو تصديقه لكلام الثعلب و إعجاب به بنفسه التي أراد أن يثبت لها الذكاء والحكمة ، بالشكل الذي أظهر فيه منتهى الغباء ، فأثناء الحوار لم تكن هناك أية ريح و إلا كان الثعلب سيجد مالك الحزين جاهرا دون حيلة أو مكيدة، وتصبح هنا الظروف هي المسير للأحداث بحيث تخدم طرفا دون الآخر. لكن الريح هي حيلة استخدمها الثعلب لعلمه بطريقة عيش الطيور. ومنه نستنتج أنه للتخلص من العدو يلزم التعرف على نقاط قوته وضعفه هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فإن ما حدث للمالك الحزين يفضح فئة من الناس تدعي الذكاء و الحكمة وتباهى بما أمام الخلق ، وهي في حقيقتها دون ذلك بالشكل الذي يقودها للخطر أو الهلاك فتفضح نفسها . فلو ثبت ذكاء مالك الحزين لما انطلت عليه الحيلة و بمهذ البساطة . وهنا تقابل بين الذكي حقيقة وفي كل المواقف وبين الذي يدعي ذلك فقط .

يؤكد الباحث في نهاية القراءة التأويلية التقابلية أنه قد استطاع الوصول إلى حدود إبراز الملاءمة بين الرمز و المرموز له ، واستنتاج خلاصات وأراء (58) . غير أن ما وقفنا عليه يظهر لنا أن الباحث لم يوفق في إبراز هذه الملاءمة بين الرمز و المرموز إليه خاصة ما تعلق بالأمكنة و حتى شخوص الحكاية ، وهذا ما عرقل وصوله إلى التقابلات الهدف بالشكل الذي يسمح بتأويل أعمق من الفكرة الواضحة للقصة وهي تقديم النصيحة للغير و العجز بها عن النفس ، لأن هذا المعنى سلفا مصرح به منذ البداية . واكتفى الباحث بإثبات ما هو مثبت بطريقة التقابلات، فلم تكن رحلة سفره في عالم النص مغامرة تبحث عن مكامن المعاني فيقف التأويل عند المعاني البسيطة والواضحة و التي ربما لم يقصدها صاحب النص ، فإذ بها تساهم في بناء عوالم جديدة للمعنى وهي تتناسب مع القصة

ولا تخل بنظامها و هذا ما حاولنا تبيانه، لأن القصة على بساطتها تضمنت معاني كثيرة يمكن أن تشكل تقابلات مع الواقع كما يريد الباحث ولم يصل إليها. ومع أن أي نص له مقصد عند صاحبه قد يبدو واضحا لكن هذا لا ينفي أن هناك مقاصد أخرى سيوحي بها النص رغما عن صاحبه لا لشيء سوى لأن اللغة بطبيعتها حملات أوجه لذا هي على الدوام تأويلية بطبعها .

ورغم أن الباحث يرى أن حكايا "كليلة ودمنة" تشكل تقابلا تابعا، و تقابلا تعالقيا وتميما ، وكأنها مقاطع صغرى في بنية سردية كبرى، إلا أنه لم يقف عند هذه التقابلات المهمة فيما تعلق بحكاية "الحمامة و الثعلب و مالك الحزين" ليتبين موقع القصة و أهميتها بالنسبة للبناء السردى العام لمجموع الحكايات ، و انتقل مباشرة للحديث عن خاتمة الكتاب، وخلص إلى " أنه مملكة للتقابلات الحياتية و الرمزية تنطلق من المكتوب المتخيل أو المفكر فيه ، فتكون القراءة عملية مراوحة بين عالم الممكن و عالم القارئ ، ينتقل القارئ بينهما عبر لغة النص و تداخل حكاياته و عواملها الممتعة .الكتاب نهر ممتلئ بالمعنى يسقي ضفافه المتقابلة ، فتحضر وتزهر أشجارها عبر التأويل ، الذي يحمل قارئه إلى جزائر المغازي و المعاني البعيدة"⁽⁵⁹⁾ هذا ما يتصوره الباحث لكن ما قدمه كمقاربة تأويلية تقابلية ما أزهرت أشجارها لتحمل القارئ عبر التأويل إلى جزائر المغازي و المعاني. فما قيمة التأويل التقابلي إن كان غرضه رصد التقابلات والنظر إليها بأي منهج تأتي للمؤؤل ؟ وكثيرا ما يترك الأمر لسيميائية لأن التقابلات في حد ذاتها محض علامات ، وأحيانا تستخدم البنوية لتحليل المكون الدلالي لبعض الكلمات ، فالمهم الوصول إلى التقابلات و التي بدورها عملية انتقائية غير مبررة قد يخطئها المؤؤل حتى وإن كان مؤؤلا بليغا على حد قول الباحث و بالتالي سينحرف و يضل طريقه إلى المعنى ، لأنه لا توجد طريقة واضحة للتعامل مع التقابلات إنها مجرد آلية لتبرير الفهم المسبق لتأويلات لم تسهم عملية الفهم بالتقابلات في إيجادها، بل العكس الفهم سابق عن التقابلات وفي غيابه يتعذر إيجادها .فليس النص هو الذي يمنحنا التقابلات جاهزة بل القراءة الواعية المحلية لمعاني النص هي التي توصلنا إلى ذلك وحين يخفق المؤؤل قراءته حتما سيكون هناك تعسف في التقابلات و خلط في تبرير و تفسير عملية الفهم .

الخلاصة :

في خلاصة هذا العرض البسيط حول نظرية التأويل التقابلي التي تضمنت مفاهيم كثيرة و اقتراحات عديدة لفهم النص سعى صاحبها على الدوام للاستفادة من التراث العربي وتنوع مدوناته

خاصة ما تعلق بالبلاغة و النقد و تطعيمها بنتاج النظريات التأويلية الحديثة العربية منها والغربية ، واستثمار كل الجهود المهمة بدراسة المعنى و الخطاب في إثراء النظرية حتى تصبح قادرة على قراءة النصوص و الخطابات على اختلافها وتنوعها . فإن النظرية لدليل على أصالة الباحث وجرأته في تحويل عمل المفسرين و الشراح إلى قاعدة انطلاق نحو نظرية تأويلية متكاملة في صورتها .

* فبعد أن كان التقابل مبحثا يخدم تساندية الدوائر الصغرى و الكبرى أصبح تصورا للكون المتقابل الذي ينعكس على مرآة العقل المفكر بالتقابل لينتج النص المتقابل في بنيته مستعدا للتأويل التقابلي لإعادة قراءته ، شريطة أن يكون هناك المؤول البليغ الذي تحققت فيه الكفاية التأويلية .

* مع أن بعض فرضيات النظرية لها ما يدعمها في أرض الواقع و التفكير و النص لكن لا يمكن تعميمها كحقائق مطلقة استطاع الباحث الوصول إليها . بل كان الأفضل له لو استغنى عن ضياع جهد يثبت ما يتعذر إثباته، فلم يكن الباحث مجبرا على إثبات الكون المتقابل حتى يبرر منطلقات نظريته ولا تعد الفكرة في حد ذاتها ضرورية لإثبات صحة النظرية ، غير أن طموح الباحث في توسيع نظريته التي تفترض أن تكون خاصة بالنص و الخطاب جعله يتتبع فكرة التقابل في الكون و التفكير العقلي و كلا المجالين يتعذر فيهما البحث بهذه البساطة التي لا تسندها حقائق علمية تدعمها التجارب، بل مجرد ملاحظات وتحليل استهدف بعض النماذج والأمثلة التي يوجد ما يدحضها، كما أنها خارجة عن تخصصه وتحتاج إلى جهود من مختلف التخصصات .

* لقد بذل الباحث جهده في تأصيل نظريته من خلال عودته للمدونة التراثية و الاستفادة من مناهجها كما بدا جليا في تجربته مع المفسرين و الشراح من جهة ومن جهة ثانية استثماره للمبحث البلاغي القديم (التقابل) بإثرائه بأنواع جديدة من التقابل و توسيع مفهومه لتبني عليه نظرية تأويلية يمكن الاستفادة منها في قراءة النصوص على اختلاف أنواعها .

* ختاماً نثمن جهد الباحث لما قدمه من تجربة غنية هي "نظرية التأويل التقابلي" تضمنت مفاهيم كثيرة تستحق الوقوف عندها و الاستفادة منها لفهم النصوص و الخطابات، انسجمت بجهازها المفاهيمي مع ثقافتنا العربية لانطلاقها من المدونة التراثية ومن مناهجها و مباحثها ، ثم استثمارها على ضوء الدراسات الحديثة العربية منها والغربية، وعليه فإننا نشجع الباحثين للإقبال على هذه النظرية و الاهتمام بها ومحاولة تطويرها وسد ثغرات الضعف فيها لتصبح بديلا قادرا على مضاهاة النظريات الغربية ، وهذا ما دعا إليه الباحث .

- (1) محمد بازّي: التأويلية العربية - نحو نموذج تساندي في فهم النصوص و الخطابات، منشورات الاختلاف ، الجزائر ، ط1 ، 2010 ، ص 69 .
- (2) المرجع نفسه: ص 91 .
- (3) المرجع نفسه: ص 66 .
- (4) المرجع نفسه: ص 64 .
- (5) المرجع نفسه: ص 159 - 188 .
- (6) المرجع نفسه: ص 189 - 219 .
- (7) المرجع نفسه: ص 146 .
- (8) المرجع نفسه: الصفحة نفسها .
- (9) عبد الغاني بارة : الهرمنيوطيقا و الفلسفة - نحو مشروع عقل تأويلي، منشورات الاختلاف ، الجزائر ، ط 1 ، 2008 ، ص 182 - 183 .
- (10) مصطفى عادل : فهم الفهم مدخل إلى الهرمنيوطيقا - نظرية التأويل من أفلاطون إلى كامير ، رؤية للنشر و التوزيع ، القاهرة ، ط: 1 ، 2007 ، ص 100 .
- (11) هانز قادمير : الحقيقة و المنهج - الخطوات الأساسية لتأويلية فلسفية، تر: حسن ناظم و علي حاكم صالح ، دار أويلا للطباعة و النشر و التوزيع و التنمية الثقافية، طرابلس - ليبيا ، ط : 1 ، 2007 ، ص 277 .
- (12) مصطفى عادل : مرجع سابق ، ص 99 .
- (13) محمد بازّي : مرجع سابق ، ص 240 .
- (14) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
- (15) المرجع نفسه: ص 241 .
- (16) المرجع نفسه ، ص 150 - 153 .
- (17) المرجع نفسه: ص 150 - 151 .
- (18) المرجع نفسه: ص 152 .
- (19) المرجع نفسه: ص 153 .
- (20) محمد بازّي : نظرية التأويل التقابل - مقدمات بديلة لمعرفة النص و الخطاب ، منشورات الاختلاف ، الجزائر ، ط : 1 ، 2013 .
- (21) المرجع نفسه: ص : 37 .
- (22) المرجع نفسه: ص 64 .
- (23) جلال الدين المحلي و جلال الدين السيوطي : تفسير الجلالين ، دار الكتاب العربي بيروت ، ط 2 ، 2006 ، ص 535 .
- (24) عيسو رابح : الأبعاد الميتافيزيقائية في الفيزياء المعاصرة من النظرية النسبية إلى النظرية الوترية ، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الفلسفة ، كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية ، جامعة الجزائر ، 2008 - 2009 ، ص 39 .
- (25) إبراهيم قنحي : معجم المصطلحات الأدبية ، التعااضدية العمالية للطباعة ، تونس ، ط 1 ، 1986 ، ص 137 .
- (26) محمد بازّي : المرجع السابق ، ص 80 - 81 .
- (27) ابن منظور : لسان العرب ، دار صادر، بيروت ، ط 1 ، 1997 ، م 1 ، ص 133 .
- (28) تأليف جماعي: التأويل و الترجمة-مقاربات لأليات الفهم و التفسير - منشورات الاختلاف ، الجزائر ، ط 1 ، 2009 ، ص 223 .
- (29) جلال الدين السيوطي : الإتيقان في علوم القرآن ، تحقيق محمد أبو الفضل ، المكتبة العصرية ، صيدا - بيروت ، ج 4 ، ص 167 .
- (30) محمد بازّي : نظرية التأويل التقابلي ، ص 81 .
- (31) ابن منظور : مرجع سابق ، ج : 5 ، ص 221 .
- (32) محمد بازّي : نظرية التأويل التقابلي ، ص 169 .
- (33) المرجع نفسه: ص 221 .
- (34) المرجع نفسه: ص 207 .
- (35) المرجع نفسه: ص 208 .
- (36) المرجع نفسه: ص 212 .

- (37) المرجع نفسه : ص 106 .
- (38) المرجع نفسه : ص 143 .
- (39) محمد بازّي : التأويلية العربية ، ص 243 – 264 .
- (40) حميد الزيتوني : مفهوم التقابل مقارنة نظرية ، التأويلية العربية : مجلة رقيمة مهتمة بقضايا التأويل و التقابل ، الرابط at-ar-tk بتاريخ 20 / 03 / 2015 الساعة 40.00. (مسا).
- (41) محمد بازّي : المرجع السابق ، ص 267 – 280 .
- (42) حميد الزيتوني : المرجع السابق .
- (43) محمد بازّي : تقابلات النص وبلاغة الخطاب – نحو تأويل تقابليّ - منشورات الاختلاف ، الجزائر ، ط : 1 ، 2010 .
- (44) محمد بازّي : نظرية التأويل التقابلي ، ص 180 .
- (45) محمد بازّي ، التأويلية العربية ، ص 286 – 289 .
- (46) المرجع نفسه : ص 300 .
- (47) عادل مصطفى : مرجع سابق ، ص 100 .
- (48) محمد بازّي : النظرية التقابلية ، ص 356 .
- (49) المرجع نفسه : ص 375 .
- (50) المرجع نفسه : ص 377 – 378 .
- (51) بوبكر الصادق سعد الله و مصطفى هواري : الجديد في الأدب و النصوص و المطالعة الموجهة -لسنة الثانية من التعليم الثانوي العام و التكنولوجي ، الديوان الوطني للمطبوعات المدرسية ، 2011 - 2012 ، ص 15- 16 .
- (52) المرجع السابق : ص : 379 -380 .
- (53) المرجع نفسه : الصفحة نفسها .
- (54) المرجع نفسه : ص 380 .
- (55) المرجع نفسه : ص 380 .
- (56) المرجع نفسه : ص 382-383 .
- (57) المرجع نفسه : ص 383 .
- (58) المرجع نفسه : ص 383 – 384 .
- (59) المرجع نفسه : ص 385 .